جامعة
بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

العـــدد الخامس
لسنة 2019

حقوق الطبع محفوظة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
- ❖ مشكلة الدراسة.
- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والسياسية في غرب أوربا العصور الوسطى

*** د. صلاح الأمين عبدالله محمد، ** د. عزالدين يونس حسن علي، *** د. عجائب أبوبكر سليمان سالم**

(* أستاذ التاريخ الأوروبي الوسيط المشارك بقسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي.
** أستاذ التاريخ الأوروبي الوسيط المشارك بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بنغازي. *** عضو هيئة التدريس بدرجة محاضر بكلية السياحة والأثار - جامعة عمر المختار - ليبيا)

الملخص:

خلال العصور الوسطى ارتبط مصطلح العالم المسيحي مع غرب أوروبا بصفة خاصة؛ إذ أنه حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي اعتبرت أوروبا التي احتضنت الحضارة المسيحية، كيانًا واحدًا ومركزًا للعالم المسيحي واضطلعت البابوية الكاثوليكية بدور ديني وسياسيّ بارز في أوروبا وإمبراطورياتها، وتنامى الدور خلال العصور الوسطى خاصةً أثناء وبعد عهد الإمبراطور شارلمان؛ وتجّلى ذلك في تشابك الكنيسة مع الملكيّة ودورها السياسي النافذ تواجدت خارج إطار أوروبا الغربية مجتمعات مسيحية شرقية اتخذت من المسيحية دينها الرسمي وعامل توحيد ديني وسياسي وحضاري وثقافي رئيسي ومنها الإمبراطورية البيزنطية. وبالتالي سيطرت مفاهيم العصور الوسطى، وعصر النهضة على النظام السياسي المسيحي، والذي كان يجسد معنى أقل لمفهوم العلمانية، والذي يمكن أن يكون متوافقًا على حد سواء مع الفكرة الدينية والهيئة الزمانية. وعندما اعترفت الإمبراطورية البيزنطية بالمسيحية وصارت المسيحية دينها الأوحد ظلت المؤسستان منفصلتين وكانتا تتحالفان أو تتصارعان، ولكن من موقع الانفصال وليس من موقع الاندماج. وكانت هناك رؤية في العالم المسيحي الغربي لثيوقراطية مسيحية أو حكومة تقوم على التمسك بالقيم المسيحية والتي تنتشر من خلال المؤسسات الدينيّة الممثلة في الكنيسة وهي المؤسسة التي تملك صلاحيات لاهوتية خاصة وذات علاقة خاصة بالله وبأسرار الديانة المسيحية بحسب المعتقدات المسيحيّة. حيث كانت المسيحية ركن القاعدة الثقافية الأوروبية وفي مناسبات محددة الركن الوحيد للهوية الأوروبية، خاصة عندما سعت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لبسط نفوذها الثقافي ومن ثم السياسي على الغرب الأوروبي، فالأممية المسيحية أو مفهوم العالم المسيحي ظلت قوة سياسية ودافعًا فكريًا وعقائديًا وسياسيًا أثر مباشرة على مسيرة السياسية الأوروبية، بل إنه أصبح لب فكرة "المفهوم الغربي"، وقام باستبدال المفهوم الجغرافي الأوروبي الضيق أو الروماني المحدود وأصبح يمثل شرعية جديدة بدأت تترسخ داخل الشعوب الأوروبية والوجدان السياسي فيها، وأصبح هذا المفهوم يمثل الشرعية الدينية والسياسية على حد سواء.

الكلمات الرئيسية: الكنيسة الكاثوليكية، الحياة الدينية، الحياة السياسية، روما، غرب أوروبا العصور الوسطى.

The effect of the Catholic Church on religious and political life in Western Medieval Europe

Dr. Salah .A .A Sulayman,[1] Dr. Ezzedine Younis Hassan Ali[2] & Dr. Ajaib Abu Bakr Soliman[3]

([1] Assistant Professor in department of the History. Faculty of Arts and Sciences, Al marj. University of Benghazi. Libya. [2] Associate Professor of European History, Mediator, Department of History - Faculty of Arts - University of Benghazi. [3] Dean of the faculty of Tourism and Antiquities. Professor of medieval history in faculty of Arts. Omar Al-Mukhtar University. Libya)

Abstract.

During the Middle Ages, the term Christian world was associated with Western Europe in particular. Until the end of the fifteenth century AD, Europe, which embraced Christian civilization, was considered a single entity and center of the Christian world. During and after the reign of Emperor Charlemagne, this was reflected in the Church's intertwining with the monarchy and its political role. Byzantine Empire. Consequently, the concepts of the Middle Ages and the Renaissance dominated the Christian political system, which embodied a lesser sense of the concept of secularism, which could be compatible both with the religious idea and the temporal body. When the Byzantine Empire recognized Christianity and Christianity became its only religion, the two institutions remained separate and were allied or struggling, but from the site of separation and not from the site of integration. There was a vision in the Western Christian world of a Christian theocracy or a government based on adherence to Christian values, which is spread through the religious institutions represented in the Church, which has special theological powers related to God and the secrets of Christianity according to Christian beliefs. Christianity was the cornerstone of the European cultural norm and on specific occasions the only pillar of European identity, especially when the Roman Catholic Church sought to extend its cultural and then political influence over the European West. The Christian International or the concept of the Christian world remained a political force and an intellectual, ideological and political motivation that directly affected the course of European politics, Rather, it became the core of the idea of "Western concept", and replaced the narrow European or Roman limited geographical concept and became a new legitimacy began to take root within the European peoples and political conscience therein, and this concept has become a legitimate For both political and religious.

Key words: Catholic Church, Religious Life, Political Life, Rome, Western Europe, Middle Ages.

ـ مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسُولُهُ ﷺ . أمَّا بَعْدُ ....

مع مطلع القرن الثالث الميلادي لم تعد المسيحية تلك الديانة المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام ولا أتباعها أولئك الذين كانوا محط إعجاب خصومهم ومثلاً أعلى من الثبات على المبدأ والصبر والمجالدة، بل فرقتهم الأهواء والأهداف التي ابتعدت كثيراً عن بساطة المسيحية الأولى.

ولذا انقسم المسيحيين إلى فريقين كل منهما يعيب على سلوك مسلك غير مسلكه فعرف أتباع كنيسة روما بالكاثوليك، وكان لكنيسة روما نظرتها في طبيعة المسيح التي كانت سبباً في ذلك التقسيم ولذا سعى كل فريق بإثبات حججه بما يتمشى وفلسفته تجاه فهمه لمسائل اللاهوت، ودراسة موضوع بهذه الأهمية يتطرق لمدى التأثير للكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية تكمن أهميته في:

- إلقاء الضوء حول استمرار الباباوية لأداء رسالتها في ظل وجود اضطرابات سياسية، فهل الباباوية قامت بإثبات وجودها وأداء مهمتها على الوجه المطلوب؟
- نظرا لارتباط الجانب السياسي بالجانب الديني ارتباطا وثيقا في فترة ظهور المسيحية والاعتراف بها، فلا ريب أن مثل هذا الدراسة توضح لنا بعض الجوانب الدينية وخاصة أثر البابوية والكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى، ومدى تأثيرها الكنيسة في الجانب السياسي وتأثرها به. وخصوصاً أن هذه الفترة قد شهدت نشاطا دينياً وسياسياً من الغرب الأوروبي اللاتيني في تزعم العالم المسيحي.

كما تهدف الدراسة لمعرفة الأدوار التي لعبتها الباباوية ومدى تأثيرها في محيطها، وهل لكنيسة روما أثر في رسم الخارطة السياسية للمنطقة؟

ومن الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة أيضا، الوصول إلى بعض الحقائق التي قد تقودنا إلى فهم بعض الغوامض التاريخية في فترة الدراسة، وكذلك دراسة جديدة لبعض الأحداث التي أصبحت في طيّ النسيان، ورأيت من واجبي أن أمد يدي لالتقاط غموض هذه الأحداث، حتى تظهر للملأ، وتطفو على السطح.

وتتطلب دراسة موضوع أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى سرداً للوقائع باختصار غير مخل في تحليل لتلك الوقائع كفاتحة للبحث في المسائل المختلفة تمهيداً لتناولها في مناقشة النتائج بأكثر تفصيل.

والضرورة تقتضي تحديد الوعاء الزمني للموضوع المراد دراسته فكان المكان غرب أوربا والزمان العصور الوسطى واستكمالاً للفائدة تم تقسيم الدراسة إلى عدة عناصر ظهر بيانها التفصيلي على النحو الاتي:

التمهيد: استعرضنا فيه الديانة المسيحية منذ نشأتها وحتى انقسام المسيحية لمذهبين رئيسيين هما الكاثوليك والأرثوذكس.

ثم تلوناها **بالعنصر الأولى والذي تضمن:**

أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية في غرب أوربا العصور الوسطى وتم التركيز فيه على مدى تأثير كنيسة روما في محيطها، وحتى خارج أوربا الغربية طالما الأمر يصب في مصلحة كنيسة روما.

أما العنصر الثاني فتضمن:

أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى وسيكون اهتمامنا منصب حول مسألتين رئيسيتين حادثة تتويج شارلمان وتبني الباباوية لفكرة الحروب الصليبية وتوجيهها للشرق.

أما العنصر الثالث فتضمن:

أما العنصر الثالث والاخير فقد تمحور حول مناقشة النتائج في تحليل الوقائع واستخلاص أهم أثار تلك النتائج في محاولة لفهم أكبر لأدق التفاصيل.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تناولت موضوع (أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى):

- الدكتور شارل جنيبير (المسيحية نشأتها وتطورها) تناول فيها الباحث نشأة المسيحية ومدى علاقتها باليهودية وأن ظهورها جاء مواكباً لبيئة تناسب التبشير بها.
- الدكتور أسد رستم (الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب) ذكر فيه الباحث أباطرة البيزنطيين ومواقفهم حيال الاختلافات الدينية ومدى تأثيرهم وتأثرهم بتلك الاختلافات.
- الدكتور إسحاق تاوضروس عبيد (روما وبيزنطة من قطيعة فوتيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869-1204م) وفيه تحدث الباحث عن تطور العلاقات بين الكنيسة الغربية والشرقية وأهم الأثار المترتبة عن قطيعة فوتيوس ومحاولة الإمبراطور مسايرة البابا في بعض المسائل بل وعزله لبطريرك القسطنطينية إرضاء للبابا.
- الدكتور عادل درويش (الكنيسة أسرارها وطقوسها) وهي رسالة دكتورة أجيزت من جامعة الأزهر، تمت الاستفادة منها في تعريف الكنيسة الكاثوليكية، وكذلك أمدتنا بمعلومات داعمة للدراسة هذا الموضوع.
- الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (تاريخ أوروبا في العصور الوسطى) الذي تحدث عن المسيحية من بدايتها، واضطهاد الأباطرة لها، وعن ظهور المذاهب، وانعقاد المجامع، والتنافس بين الكنائس الشرقية والغربية.

إلا أننا لم تقع بين أيدينا دراسة قائمة بذاتها عن أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى.

وسيكون أخر محطات دراستنا خاتمة تتضمن بعض النتائج تنتهي بتوصيات يمكن أن نتوصل إليها بعد استعراضنا للوقائع والأحداث موضوع أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى. إلى جانب تضمين الدراسة لقائمة بالمصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث.

- التمهيد:

ساهم تطور واستقرار الإمبراطورية الرومانية في سرعة انتشار المسيحية، ومرد ذلك سيطرة الرومان على حوض البحر المتوسط واهتمامهم بالمرافق العامة كإنشائهم شبكة طرق كانت سبيلاً لنشر المسيحية طريقها من قبل دعاتها، فتيسر لهم الوصول لكل الولايات في الإمبراطورية فإن كانت المسيحية قد وجدت طريقها في أوساط العامة، فقد رأت فيها الطبقة الحاكمة خطراً يهدد سلامتهم ويستنقص من قدرهم[1] فأصبحت المسيحة في نظرهم ثورة اجتماعية ستقلب مفاهيم توارثوها منذ عصور الرومان الأولى، فناصب الأباطرة المسيحية العداء منذ زمن الإمبراطور نيرون (37-67م) الذي أشعل النار العظيمة في روما عام 64م وألقى فيها بالمؤمنين من أبناء المسيحية إلى أخر عقود الاضطهاد فيما صار يعرف بعصر الشهداء زمن الامبراطور دقلديانوس (284-305م) فقد اجتمعت نية أولئك الأباطرة في تدبير محكم يهدف للقضاء على المسيحية وانصارها قضاءً مبرماً.[2]

لقد استمر اضطهاد الأباطرة للمسيحيين* حتى عصر القيصر جاليروس ونتيجة لما تعرض له من مرض أنهك صحته وما تحلى به أنصار المسيحية من صبر وقوة تحمل أمام حركة الاضطهاد تلك وتمسكهم بعقيدتهم أصدر جاليروس قراراً عام 307م، تضمن تسامحاً مع المسحيين سمح لهم بفتح كنائسهم ومزاولة شعائرهم الدينية، ثم أعقب ذلك صدور مرسوم ميلان 313م والذي اعترف فيه الأغسطس قسطنطين بالدين المسيحي كأحد الأديان السائدة في الإمبراطورية البيزنطية.[3]

بدأ نجم المسيحية في الصعود بعد أن انتشرت بين طبقات المجتمع من أدناها إلى أعلاها لكن ذلك الصعود ظهر وكأنه بدأ في الانحدار من حيث لا يشعرون لاختلاف المسيحيين أنفسهم في تحديد العلاقة بين المسيح الأبن والإله الأب فادى ذلك لانقسام المسيحية لطائفتين ترتب عليها إذكاءُ نار العداوة بينهم، ومنشأ هذا الأمر احتدام خلاف بين كاهنين* من رجال الدين المسيحيين وهما أريوس وأثناسيوس حيث قال: الأول ان المنطق يحتم وجود الاب قبل الأبن ومادام المسيح ابن الله فهو أقل منه شأناً ولا يمكن أن يتساوى الاثنان في المقام.[4] بينما قال: أثناسيوس إن الإله الأبن وإن اختلف عن الإله الأب الا إنهما متساويان في القدرة بحكم أنهما يستمدان قدرتهما من الأزلية، وقد لقى ما قاله أريوس رواجاً في الشق الشرقي من الإمبراطورية حيث مهد الحضارة اليونانية موطن الفلاسفة والمفكرين. بينما ما يقوله أثناسيوس يتمشى مع المتحمسين أصحاب العواطف الدينية في تبني واضح لهذه الافكار من قبل الكنيسة في روما.[5]

---

(1) أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت، 1955، ج1، ص31-33.

(2) شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص165-168.

* تعرض المسيحيين الأوائل لموجة من الاضطهاد من قبل الأباطرة الرومان الذين روأ في المسيحية وأكثر أتباعها من العامة ماهي إلا ثورة اجتماعية ستقلب كثير من المفاهيم التي ألفها الرومان كتقديس الأباطرة، فظهر بوادر ذلك الاضطهاد منذ حكم الامبراطور نيرون الذي أشعل النار العظيمة في روما عام 64م والقى فيها المسيحيين واستمر اضطهادهم عصر الإمبراطور تراجان والإمبراطور هادريان وتحول إلي محنة حقيقية للمسيحيين متمثلة في اضطهاد من قبل الإمبراطور دقلديانوس 284- 305م، فعرفت فترة حكمه بعصر الشهداء التي أظهر فيها المسيحيين ضروباً من الصبر والإيمان، إلي إن انتهت محنتهم بالكلية باعتراف الإمبراطور قسطنطين 305 -337م بالمسيحية كأحد الأديان بموجب مرسوم ميلانو 313م، وعلى هذا الأساس انتشرت المسيحية بعيداً عن الارتباط باي شكل من إشكال التوسع السياسي. سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد البحيري إخوان، بيروت، 1977، ص103-104.

(3) سيد احمد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص431-434.

(4) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ط1، دار الثقافة، القاهرة (بدون تاريخ) ج3، ص239.

* لقد ظهر الصراع المذهبي بين رجلي الدين أريوس وأثناسيوس وهما راهبان من كنسية الإسكندرية تناولا أساس العقيدة المسيحية وعلى أثر ذلك أنفجر صراع طويل بين أتباع المسيحية، وقد حاول الإمبراطور قسطنطين أن يعالج هذا الموقف حيث سعى لإعادة الوحدة الدينية للكنيسة ليرمم ما لحقها من أذى. محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1996، ص20-21.

(5) محمد محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الاوربية في العصور الوسطى، الاسكندرية، 1998، ص148-151.

بالرغم من عدم اهتمام الإمبراطور قسطنطين (306-337م) بما يدور من صراع مذهبي بين معتنقي المسيحية طالما أنها تجاوزت مرحلة الاضطهاد وأنها لن تسبب له القلاقل فيما يخص الحكم والإدارة، إلا أنه وجد نفسه مضطراً للدعوة لعقد اجتماع يضم كل رجال الدين، وبالفعل تمت الدعوة لمجمع نيقية 325م،[6] حضره عدد كبير من القساوسة ورجال الدين من كل الكنائس للنظر في الخلاف الدائر بين أريوس وأثناسيوس، بشأن الخوض في طبيعة المسيح، وقد تمخض مجمع نيقية على تأييد عقيدة اثناسيوس ومن خلال تلك المناقشات تبلورت الكنيسة الكاثوليكية[7] وأصبح أثناسيوس يمثل الراي العالمي او الكاثوليكي، وبدأت تظهر مكانتها في الغرب الأوربي ككيان يوازي إن لم يفوق الإمبراطورية نفسها.[8]

- أولاً: أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية في غرب أوربا العصور الوسطى:

ازدادت مكانة الكنيسة في روما منذ مجمع نيقية 325م، والذي تبنى أفكار الراهب اثناسيوس في مسألة المساواة بين الإله الأبن والإله الأب،[9] المخالف لما نادى به الراهب أريوس والذي تبنى فكرة الطبيعة البشرية للمسيح، وبالرغم من أن الدوائر دارت على أثناسيوس إلا إنها لم تحط من قدر روما وقيمتها حتى بانتقال الأباطرة للقسطنطينية، فقد تخلصت البابوية من سطوة الاباطرة بعكس ما حدث لكنيسة الشرق،[10] في وقت بقيت فيه روما ضمن حظيرة الإمبراطورية البيزنطية، ليظهر فيما بعد دور البابوية واضحاً في غرب أوربا عوضاً عن الإمبراطورية.[11]

والحقيقة التي لا تخفَ على أحد، غدت المسيحية في القرن الرابع الميلادي محط جذب لصفوة المفكرين، لاسيما الذين تربت وتدربت عقولهم على الفلسفة في مضمارها اليوناني،[12] فكان اللاهوت أحد ميادينه، وأمام عجز عقول اللاتين عن مجاراة الفلسفة اليونانية في ثوبها الجديد، ترتب على ذلك ظهور المتدينين الكاثوليك في محاولة لدفع عجز الفكر اللاتيني عن محاجاة فكر القسطنطينية الممزوج بالعقلية اليونانية فارتفعت الأصوات في الغرب الأوربي تنادي بالفكر المسيحي وبساطته الأولى في محاولة لإثراء الفكر المسيحي بنكهة كاثوليكية،[13] كي تغطي البابوية عجزها في هذا الجانب وبعيداً عن المماحكات الدينية مع الإمبراطورية، ليصل أكبر تأثير لها لأبعد نقطة ممكنة وإبراز جوهر الرسالة الكاثوليكية، فشجعت التعليم بلغة يعرفها أبناء الريف بعيدا عن الأسلوب المنمق حتى يتمكن المبشرين من تأدية رسالتهم لجميع الولايات أيَنْ كانت المسافات[14] فتطور ذلك الصراع في صورته الجديدة بحثاً عن مقر ديني ترجع إليه المسيحية، فمدينة روما لها مكانتها وصلها بطرس الناسك وضمت رفاته، وبرغم وجود القوط الغربين بها ومغادرة الأباطرة للشرق،[15] إلا إنها ازدادت قوة بتخلصها من تدخل الأباطرة كما هو الحال في الكنيسة الشرقية، فلم تهزها الصراعات الدينية بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة القسطنطينية، في سعي حقيقي من قبل تلك المدن لكسب ود كنيسة روما.[16]

---

[6] عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، ط1، دار دمشق، 1980م، ص322.

[7] الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص430-445.

[8] الشيخ، النظم والحضارة، ص151.

[9] S. Vryonis, *Byzantium and Europe*, London, 1967, p. 133.

[10] الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص148-152.

[11] سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي، ط1، مكتبة الانجلو لمصرية، القاهرة،ج1، 1972، ص60-62.

[12] A, Vasiliev, *A History of the Byzantine Empire 324-1453AD*, 2 voles, 3rd edition, Madison and Milwauk, I, 1961, pp. 411-413.

[13] دونالد، ر، دولي، حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم وفاروق فريد، دار نهضة مصر للطابعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص385-388.

[14] أ. ب. تشالزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، هيئة الكتاب، القاهرة، 1950، ص232-233.

[15] عادل درويش، سلسلة رسائل علمية الكنيسة أسرارها وطقوسها، ط1، دار بلال بن رباح، القاهرة، 2012، ص16-17.

[16] السيد الباز العريني، تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1968، ص154-161.

لقد استطاعت البابوية في عزيمة جادة أن تتغلغل في صلب عقيدة القوط الغربيين مستغلة ميل القوط وإيمانهم بإمبراطورية الرومان في محاولة لربطها بالعقيدة الكاثوليكية، فجعلت من اعتناق الإريوسية إنكاراً وتحدياً لألوهية عيسى بن مريم عليه السلام،[17] حيث واكب ذلك إصدار الإمبراطور ثيودسيوس الأول (379-395م) قراراً عام 380م نص على أن كل كاثوليكي مسيحي، هو من آمن بالثالوث المقدس وما سوى ذلك هرطقة، فعد ذلك بداية النهاية للمذهب الأريوسي في ايطاليا[18] وسرعان ما تحول القوط للعقيدة الكاثوليكية، وتأثر التنظيم الكنسي عند القوط بالتنظيم الكنسي للبابوية.[19]

ومنذ مجمع القسطنطينية الأول 381م والذي أقر ما جاء به مجمع نيقية، وبرغم ذلك لم يشترك فيه سوى رجال الكنيسة الشرقية وبدأ يطفؤ على السطح التنافس بين الكنائس، فصدور قرار بالمجمع المسكون الثاني والذي أقر بأن بطريرك القسطنطينية يلي في المكانة أسقف روما ولقي هذا القرار معارضة من بقية أسقفيات الشرق.[20]

لقد واكب انتقال العاصمة البيزنطية للشرق، والذي تزامن مع الخوض في مسائل اللاهوت، حيث لعبت الفلسفة اليونانية دورها فاجتذبت الكنيسة الشرقية اصحاب الآراء الفلسفية حول طبيعة المسيح عوضاً عن تأييد الأباطرة لها،[21] ومع ذلك شقت كنيسة روما طريقها فاستخلصت السيادة على كنائس الغرب الأوربي في وقت أصبحت ملاذ كل خائف صدر بحقة قرار من أحد المجامع كما الحال لأثناسيوس الذي لجأ إليها طالباً الحماية من قرارات مجمع مدينة صور 434م فكانت له خير معين.[22]

وبالرغم من مساندة الأباطرة للقسطنطينية وكنيستها وتأكيد المساواة المطلقة بين روما والقسطنطينية بحسب قرارات مجمع خلقدونية 451م، إلا إن تأثير البابوية كان واضحاً في الإمبراطور فالنتيان الذي أصدر مرسوماً عام 455م، قضى بخضوع جميع اساقفة الغرب الأوربي للبابا،[23] لتضطلع البابوية بمهامها إبان ولاية البابا جريجوري الأول او العظيم (590-604م) وبأنها حريصة على نشر المسيحية حيث أرسل بعثة تبشيرية الى انجلترا لتحويلها للمسيحية على المذهب الكاثوليكي ونجحت البعثة في مهمتها،[24] ومع ذلك لم تنزع روما وكنيستها يدها من الشرق فقد استطاعت تحريك مشاعر سكان القسطنطينية ضد الإمبراطور ليو الثالث (717-741م) وقراره المتضمن منع عبادة الأيقونات* وإزالة صورها من ميادين القسطنطينية ونتيجة لذلك أصدر البابا جريجوري الثالث (731-741م) قرار حرمان ضد الإمبراطور ليو الثالث في مساندة واضحة من قبل بابا روما لبطريرك القسطنطينية جرمانوس (715-729م) الرافض لسياسة الإمبراطور، وفي محاولة للنيل من الإمبراطور والطعن في عقيدته، اعتبر خصومة وعلى راسهم البابا أن ما يقوم به الإمبراطور من إجراءات ينم عن تأثر بالعقيدة الإسلامية ويعد ما قام به محاكاة لإجراءات أمر بها الخليفة يزيد بن عبدالملك (720-

---

[17] نعيم فرج، الحضارة الاوربية في العصور الوسطى، ط1، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2000، ص165-167.

[18] السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية 323-1081، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص40.

[19] إبراهيم على طرخان، دراسات في تاريخ أوربا العصور الوسطى دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص153-154.

[20] العريني، المرجع السابق، ص41-42.

[21] ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص131.

[22] نعيم فرج، المرجع السابق، ص181-185.

[23] سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 2009، ص50-52.

[24] محمود سعيد عمران، حضارة أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص98-99.

* حركة مناهضة عبادة الصور "الايقونات" مشكلة دينية شغلت الإمبراطورية البيزنطية فترة تجاوزت القرن، وكانت على مرحلتين الأولى تبدأ من سنة 726-780م، والمرحلة الثانية بدأت من سنة 780-843م، وكانت من ضمن المشاكل التي ساهمت في انقسام الكنيستين الشرقية والغربية ومن ثم انفصال الغرب الأوربي تماما عن جسم الإمبراطورية البيزنطية. حسين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص108-109.

724م) بإزالة الصور من الكنائس الواقعة ضمن حدود الدولة الإسلامية،[25] فكانت كنيسة روما محركاً رئيسياً ولاعباً أساسياً في مجريات الأحداث، فإن كانت قد احتضنت أثناسيوس في السابق فقد استقبلت الرهبان المؤيدين لعبادة الصور الفارين من سياسة الإمبراطور واستقروا في الجنوب الإيطالي والبالغ عددهم حوالي خمسين ألفاً أثروا في العملية العلمية فبنوا المدارس والأديرة وساهموا في إثراء الحياة الثقافية في تلك المنطقة.[26]

إن من موجبات فض المنازعات الدينية عند الأباطرة الأوائل عقد المجامع الدينية، غير أن بعض تلك المجامع أدى إلى توسيع الهوة كما حدث في مجمع خلقدونية، الذي ساوى أسقف روما بأسقف القسطنطينية في المرتبة، في وقت تطور فيه مفهوم اللاهوت،[27] تتناوله العقول الشرقية بلسان رطب عجز العقل اللاتيني عن فهم أدق تفاصيله المكتوبة باللغة اليونانية، في جو يبعث على القلق بالنسبة للبابوية، في هدم للنظرية البطرسية التي تعطي روما حق رئاسة الكنائس، لكن البابا جريجوري العظيم يوجز ذلك العجز أمام العقل الشرقي المنفتح بأن اللاتين صانوا العقيدة المسيحية، فروما تنادي بالبساطة التي أسسها الآباء الأوائل،[28] ولذا لم تدخر البابوية وسعاً للنيل من كنيسة الشرق فقد وصفت كرسي أسقفية القسطنطينية بأنه رهينةٌ للعلمانيين في اعتراض صريح على خلع الأسقف أجناتيوس وإقرار الأسقف فوتيوس بديلاً عنه كإشارة واضحة بأن لا يبت في أمر يختص بالمسيحية إلا بمشورة البابوية فرفض البابا قرارات مجمع القسطنطينية 891م، وأصدر قرار حرمان ضد فوتيوس وأعاد أجناتيوس وسائر الاساقفة المنفيين.[29]

ولم تخفِ روما نيتها لنشر المسيحية على المذهب الكاثوليكي حتى في المناطق الواقعة قريباً أو تحت سيادة الكنيسة الأرثوذكسية، لكن نجاح البعثات التبشيرية الأرثوذكسية في بلغاريا بمساعدة جيش الإمبراطورية زاد من حقد البابا على فوتيوس الساعي لنشر الأرثوذكسية بين البلغار بشتى الوسائل،[30] إلا إن رفض فوتيوس فتح كنيسة للبلغار على خلفية طلـب ملكهم بورس* دفع البابا للمسارعة في مراسلة ملك البلغار يوضح له انحراف عقيدة كنيسة القسطنطينية فما كان من بورس إلا أن أمر دعاة المسيحية الأرثوذكسية بمغادرة أراضيه،[31] ونتيجة لما حدث من تباعد بين البلغار والبيزنطيين سعى الإمبراطور باسيل الأول (867-886م) مؤسس الأسرة المقدونية لاسترضاء البلغار ففتح بطريركية للبلغار مقابل سيادة بطريركية القسطنطينية عليها وسط رفض مبعوثي البابا بمعارضة تلك الفكرة، وللحد من التصعيد مع البابوية قام الإمبراطور باسيل بعزل فوتيوس إرضاء لروما فترة اهتمامه بنشر المسيحية بين الشعوب السلافية بعيداً عن الخوض في الاختلافات الدينية غير أن ذلك لم يرضِ البابا ولم يجسر الهوة بين الأخير والإمبراطور بسبب التنازع حول الاختصاصات والحقوق القضائية لكرسي البابوية.[32]

ومهما قيل عن مكاسب الإمبراطورية البيزنطية وهيبتها إبان حكم الأسرة المقدونية (867-1056م) بنشرهم للمسيحية بعيداً عن الاختلافات الدينية إلا إن البابوية استمرت في ادعائها لسلطانها على العالم المسيحي، ولذا من حين لأخر حاولت أن يطال تأثيرها بطريركية

---

[25] الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص120-126.

[26] حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص118-119.

[27] D. Charles, *Byzantium Greatness and Decline*, New Jersey: New Brunswick, 1957, p. 197.

[28] إسحاق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة منذ قطيعة فوتيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، دار المعارف، بمصر، القاهرة، 1970، ص1-3.

[29] العريني، الدولة البيزنطية، ص317-321.

[30] Ambroise, *The Crusade of Richard Lion- Heart*, Translate From the old French by: M. J. Hubert, New York, n.p., 1941, p. 89.

* بورس بن سيمون خلف والده ملكاً على البلغار وبرغم سعيه لخلق شخصية مستقلة للبلغار إلا إن عصره يعتبر انهيار للأطماع البلغارية في الإمبراطورية البيزنطية بل إن سياسته اتجهت لتقليد حضارة البيزنطيين. جوزيف نسيم يوسف، معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1990، ص159.

[31] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص9-10.

[32] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، بدون مكان، 2000، ص137-139.

القسطنطينية، فلم يتورع البابا في طلب اعترافها بسيادة كنيسة روما عليها، بل إن الأمر تعدى أكثر من ذلك إذا أنه حتى بعد موت البابا أصدر مندوبية قرار حرمان ضد بطريرك القسطنطينية كرولايوس فعقد الإمبراطور مجلساً يمثل كنائس الشرق وأدان كل قرارات البابوية ومندوبية منفذي قرار البابا القاضي بحرمان بطريرك القسطنطينية، والذي علق على كنيسة أيا صوفيا وبذلك حدث ما عرف بالانشقاق الأعظم* بين الكنيستين عام 1054م.[33]

ومع ذلك لم يتردد البيزنطيين فترة حكم الأسرة الكومينينية عصر الإمبراطور الكسيوس كومينين (1081-1118م) للاستنجاد بالبابوية لدرء الخطر السلجوقي عقب هزيمة البيزنطيين في مانزكرت عام 1071م* فاتجه البابا لتحويل ذلك من مجرد إمداد عسكري الى حرب مقدسة لاسترجاع الأراضي المقدسة وجعل كنيسة روما كنيسة عالمية خالصة.[34]

وإن كان اللاتين لم يفوا بتعهداتهم بشأن إرجاع أراضي الإمبراطورية حال افتكاكها من المسلمين إلا إن وجهات نظر ظهرت تنادي بتوحيد الكنيستين تحت سيادة البابوية فترة ولاية البابا أنوسنت الثالث (1198-1216م) في خطاب متعالي للبابا، لكن الإمبراطور لم يكترث لما يحدث لإحساسه بغياب النية الحسنة تجاه الإمبراطورية في إنفاذ الحملات الصليبية صوب الشرق، لتصدق نبوة القسطنطينية في تعريج الحملة الصليبية الرابعة (1202-1204م) على عاصمة البيزنطيين واحتلالها بمساعدة من المدن الايطالية باستحسان من البابوية وتقام فيها مملكة لاتينية منذ عام (1204-1261م) في استغلال لمشكلة حول العرش اتخذها اللاتين لتحقيق مآربهم.[35]

لقد مثلت أحداث الحملة الصليبية الرابعة البداية الفعلية لنهاية حكم الإمبراطورية البيزنطية، وإن استردت أنفاسها فيما بعد، فمهما قلنا عن القطيعة بين اللاتين والبيزنطيين، إلا إن الإمبراطورية قد استفادت من كل ما يخفف عنها من ضغوطات وأخطار محيطة بها،[36] فظهور الأتراك العثمانيين كقوة وتهديدهم لأوربا دفع الملك المجري* سيجموند لجمع حشد ضد العثمانيين 1396م بمباركة البابا بونيفاس، فأعطى الإمبراطورية البيزنطية فرصة كي تلتقط أنفاسها وتعيد حساباتها،[37] ولذا انضمت الإمبراطورية البيزنطية للحلف الذي ضم القوى الأوربية متمثلاً في المجر وبولندا وجنوب البندقية وبعض المناطق الأخرى بعلم البابوية ضد التمدد العثماني 1438م، دون النظر للخلافات المذهبية والسياسية ما بين المتحالفين من الغرب الأوربي والإمبراطورية المتهاوية، وكان لذلك الحلف نتائج طيبة أرغمت العثمانيين على طلب الهدنة 1444م.[38]

وفي ظل غياب دور كنيسة القسطنطينية ضمن الأحداث الجارية فقد أتضح أنها تستمد قوتها من قوة الإمبراطور، فتظهر البابوية في دور المدافع عن العالم المسيحي، فبعد سقوط

---

* الانشقاق الأعظم حادث بالغ الأهمية وقع قبل نهاية حكم الإمبراطور قسطنطين الرابع بين الكنيستين الشرقية والغربية ولم يكن حادثاً مفاجئاً إذ سبق ذلك اختلافات دينية مهدت لانشقاق نهائي بين كنيستي روما والقسطنطينية اتخذ فيه الغرب والشرق الأوربي طريقين مختلفين تمزقت من خلاله وحدته السياسية والثقافية. العريني، الدولة البيزنطية، ص751.

[33] ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة (عصر الأيمان) ترجمة محمد بدران، بيروت وتونس، 1988م، ج3، مجلد 14، ص390.

* مانزكرت: من أهم المعارك الفاصلة التي وقعت بين المسلمين السلاجقة والبيزنطيين 1071م بقيادة السلطان ألب أرسلان 1063-1072م أما الجيش البيزنطي فقادة الإمبراطور رومانوس 1068-1071م الذي وقع في يد أرسلان بعد أسر وقتل العديد من جنوده، تأتي أهمية المعركة في كونها فاتحة لحلقة الصراع بين الشرق والغرب فيما صار يعرف بالحروب الصليبية التي شنها الغرب الأوربي بقيادة الباباوية للدفاع عن الإمبراطورية البيزنطية وافتكاك الأراضي المقدسة. محمد عبدالعظيم ابو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001، ص85-87.

[34] أرنست باركر، الحروب الصليبية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص18-21.

[35] إسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، بدون مكان، 1981، ص53-77.

[36] K. Setton, *A History of the Crusades*. Vol. II. Pennsylvania: University press, 1958, pp. 192-193.

* سيجموند ملك المجر تحالف مع الباباوية من أجل تكوين تكتل صليبي مسيحي ضد الدولة العثمانية وضم الحلف عدة دول أوربية وهو من أكبر التكتلات التي واجهها العثمانيون وطلبوا الصلح على إثرها. على محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، 2001، ص66.

[37] الصلابي، المرجع نفسه، ص66-67.

[38] إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص45-47.

القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح 1453م فترة ظهور العثمانيين كقوة يخشى بأسها في المنطقة يتعهد البابا بيوس الثاني أن يشترك في حملة صليبية لكن ما تلاقيه كنيسة روما من مشاكل في تنظيماتها، أدى إلى عدول البابوية عن عزمها، ولم تعد أحلامها سوى شارات يحملها أعمدة حركة الكشوف الجغرافية أمثال فاسكوداجاما وماجلان، في حلم ممزوج بالإيمان متخذين الصليب علامة على صدورهم يحذوهم الأمل للقيام بواجب ديني لتخليص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين.[39]

ـ ثانياً: أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى:

لقد أدى ابتعاد الأباطرة عن روما ومن ثم اتجاههم لتمييز القسطنطينية عن ما سواها، دون مراعاة لأي اعتبارات تجعل مدينة بطرس الناسك في مصاف المدن الأخرى، دافعاً لأن تبحث روما عن سبيل يمكنها من الاعتماد على الذات وفق موروثها الديني الذي أعطاها أهمية بين مدن الإمبراطورية إنْ لم يفوقها، فسعت لأن تجمع بين السلطتين الدينية والسياسية، فأصبحت بدون منازع الخصم الذي يخشاه الأباطرة لاسيما وأنها شكلت شخصيتها السلطوية ما بين عامي (730-760م) وهو أمر في حقيقته ناتج من الصراع الأيقوني مع الأباطرة البيزنطيين[40] وبعيداً عن الغوص في التفسيرات وراء تمسك القسطنطينية بموقفها حيال تلك العبادة، فالمسألة في أخر الأمر انتهت لصالح الداعين والداعمين لعبادة الصور وعلى رأسهم البابوية، فإن كان ظاهر الصراع ديني فهو بدون شك يحمل في طياته دافعاً نحو بناء شخصية للبابوية تساوي إن لم تضاهي الإمبراطور نفسه وهو أمر طبيعي في ظل وجود شبه فراغ سياسي في غرب أوروبا.[41]

ومهما قيل عن أوجه الخلاف بين البابوية والأباطرة في الشرق فأمام الاضطرابات السياسية بإيطاليا، لجأت البابوية للإمبراطورية تطلب مساعدتها خوفاً من سطوة اللومبارديين، فإن تمكنوا منها سيحولونها إلى مجرد أسقفية محلية، فأدار الإمبراطور ظهره لإيطاليا فلقيت روما من الفرنجة خير معين، فقد منحها بيبن الثالث★ (752-768م) الملقب بالقصير الذي باركته البابوية ملكاً على الفرنجة عام 715م جميع إيطاليا الوسطى بعد أن أخضع اللمبارد لسلطته.[42]

لقد أبهر سليل الأسرة الكارولنجية شارل والذي اشتهر باسم شارل أو شارلمان العظيم، البابوية فيما تميز به من سمات القيادة وما حققه من انتصارات على معاصريه اللومبارديين والبافاريين والسكسون وفرضه للمسيحية الكاثوليكية، كما أن البابا ليو الثالث كان ملاذ شارلمان (795-816م) بسبب ما تعرض له من اضطهاد على يد النبلاء في روما فقد توسل لشارلمان كي يعيد الأمن لإيطاليا، فزحف الأخير على إيطاليا وقضى على خصوم ليو، وفي تلك الأثناء تَوَجَهُ البابا أوغسطس عام 800م مبارك من الرب وركع البابا أمام شارلمان مقبلاً حاشية عباءته وفق ما هو سائد أثناء تتويج أباطرة البيزنطيين،[43] وعلى ما يبدو فإنَّ قيام البابوية بتتويج

---

[39] أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص39-40.

[40] نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط قصة الحضارة: البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط5، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1997، ص250.

★ شهد عصره نهاية حكم الأسرة الميروفنجية عام 751م فقد قرر أن يكون ملكاً بعد موافقة البابا وقد أستشير البابا زكريا ما بين أن يحكم شيلدريك الذي ليس له من السلطة إلا أسمها أم بيبن الثالث فوافق البابا على بيبن وقال بأنه مباركاً من القديس بطرس وكانت البابوية تسعى لأن يكون بيبن حامياً لها من اللمبارد في إيطاليا. عبدالقادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1968، ص91-92.

[41] جاد الله نجيب، تاريخ الكنيسة الغائب في القرنين الرابع والخامس للميلاد، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2012، ص161.

[42] ول ديورانت، قصة الحضارة، ص353.

[43] موريس بيشوب، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة على السيد على، المجلس الاعلى الثقافة، القاهرة، 2004، ص103.

★ لقد ظهر تياران نادى كلا منهما بإصلاح الكنيسة عرف الاول بالنظام البندكتي لظهوره من دير بندكت والاخر بالكلوني لأنه ظهر من دير كلوني ونتيجة لما اصاب الحركة البندكتية من تفكك من أسسها تم علاجها على يد الحركة الكلونية، ويقع دير كلوني بالقرب من الحدود الالمانية الفرنسية وكان الرئيس الوحيد المشرف على شبكة الاديرة الكلونية هو مقدم دير كلوني. محمد صالح منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1996، ص74-78.

شارلمان كإمبراطور في ظل وجود الإمبراطورة إيرين (797-802م) لا تهدف البابوية من خلاله لإيجاد إطار سياسي لسد فراغ السلطة الزمنية في الغرب أو لضمان عدم تدخل الأباطرة في شئونها وإنما المسألة تهدف للنيل من العاصمة القسطنطينية التي تخالفها المذهب خاصة وإن المساعي الحميدة لإيجاد تقارب بين القسطنطينية وروما يبدو أنها قد وصلت لطريق مسدود سعت الباباوية لتجسيد ذلك الانقسام بتحريك المياه الراكدة أثناء تتويج شارلمان إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة عام 800م.[44]

لقد حاول شارلمان الأخذ بيد البابوية لتصلح من شأنها بعد أن انتابها الضعف المتمثل في مكانتها الدينية بسبب تدخلها في المسائل السياسية الأمر الذي ترتب عليه خللاً في ميزان رسالتها لنشر المسيحية وترك ما سواها، ومع نهاية حكم الأسرة الكارولنجية (751-987م) دب الضعف من جديد في البابوية بسبب اختيار رجال غير مؤهلين للوظائف الكنسية إلى جانب تدخل النبلاء والحكام والعامة في انتخاب البابا، وإزاء ذلك ظهر مجموعة من الأباطرة والباباوات تنادي بإصلاح الكنيسة مثل الإمبراطور هنري الثالث (1029-1056م) والبابا ليو التاسع (1044-1054م) بالإضافة لوجود تياران يمثلان حركة الإصلاح الديني* من دير بندكت ودير كلوني.[45]

لقد سعت البابوية نحو بعث روح الكنيسة بعد أن اعتراها الضعف والوهن، فجعل منها الباباوات سلطة لا تسمو عليها أي سلطة فأدت تلك السياسة لصدام مع السلطة الزمنية واعتمدت على مواجهة الأباطرة بتوقيع قرارات حرمان من رحمة الكنيسة اعتمدت في تنفيذها على احترام العامة لها، وكان لذلك الصدام أن يحدث بسبب خروج الإقطاعيات التابعة للباباوية من تحت سيادة الإمبراطور لتحل تحت نفوذ البابا[46] وعلى ما يبدو فإن الإمبراطورية البيزنطية لم تعر اهتماما لما مرت به الباباوية من مراحل إصلاح في تنظيماتها الكنسية، فلم تبدِ اهتماما لوساطة البابا من زواج أوتو* من إحدى الأميرات البيزنطيات والتي سيترتب عليها تتويج أوتو على ما تبقى من سلطات البيزنطيين في الغرب، لكن الإمبراطور رومانوس الثاني (959-963م) رفض والذي ما لبث أن مات، فتولى من بعده نقفور فوكاس (963-969م) الذي رد على وساطة البابا بفضاضة ودافع البابا بدوره عن كرامته المنحدرة من أصول جرمانية،[47] ومهما تكن الآثار المترتبة على سفارة البابا لدى السلطات البيزنطية بقبول زواج أوتوا من احدى الأميرات البيزنطيات فهو زواج سياسي يهدف أوتوا من ورائه للحصول على تفويض من الإمبراطور بسلطات على ما بقى من أملاك البيزنطيين في الغرب الأوروبي، في وقت تبحث فيه البابوية عن مدى تأثيرها في الأوساط السياسية البيزنطية.

وثمة اتصالات بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية قللت من التوترات السياسية والدينية بين الطرفين برغم وقوع حادثة الانشقاق الأعظم، سببها تنامي المد الاسلامي فإن لم تعره البابوية اهتماما إبان حركة الفتوحات الإسلامية، لأنها نظرت للبيزنطيين كالمسلمين مخالفين لها في العقيدة إذا ما أستثنينا تهديد المسلمين للغرب الأوروبي من إسبانيا حتى جنوب فرنسا، فإن المسألة بلغت مداها بظهور قوة السلاجقة وهزيمتهم للجيش البيزنطي في موقعة مانزكرت 1071م عوضاً عن اجتياح المسلمين للأراضي المقدسة في فترة مبكرة من حركة

---

[44] Frucht, R. 2005. *Eastern Europe: an introduction to the people, lands, and culture*. Vol. 1. Santa Barbara: ABC-CLIO.

[45] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1986، ص289-292.

[46] المرجع نفسه، ص293-295.

* أرسل الإمبراطور الألماني أوتوا الأول الأسقف اللمباردي لويدبراند في مهمة للقسطنطينية بغية زواجه من إحدى الأميرات البيزنطيات، غير إن الأسقف لم ينجح في سفارته لأن البيزنطيين يرون في الألمان همج برابره، فقد رد لويدبراند على نقفور مدافعا عن اوتوا معتبراً البيزنطيين يعيشون على مجد غابر، نورمان ف. كانتور، قصة الحضارة، ص313.

[47] عبدالقادر اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، ص145-146.

الفتوحات الكبرى[48] فلم تعد الأحداث الجارية تقبل التأخير لاسيما وأن البابوية أُلقى على عاتقها عبء كبير فهي رائدة العالم المسيحي حتى لمخالفيها في المذهب، فالسلاجقة فتحوا الباب على مصرعيه للتقدم في أراضي الإمبراطورية التي فقدت صفة حامية الحدود الشرقية لأوروبا[49] في وقت مثلت فيه معركة مانزكرت مقياسا حقيقياً لمدى قدرة البيزنطيين للوقوف في وجه تلك الأخطار التي لم يجدوا بدُا أمامها من طلب المساعدة من الغرب الأوربي بل ومن الباباوية نفسها، فجأت أولى الطلبات على يد الإمبراطور ميخائيل السابع (1071-1078م) ثم تكررت على يد الإمبراطور الكسيوس كومينين الذي استنجد بالبابا أوربان الثاني (1088-1096م) لمساعدة الإمبراطورية والذي بات وشيكاً سقوطها في يد المسلمين.[50]

لقد سنحت فرصة للبابوية طالما سعت لتحقيقها ولو تحت سيادة الإمبراطورية وهي سمو البابا فوق كل سلطة دينية بل وسلطة الإمبراطور نفسه فإن تمنعت الإمبراطورية في الماضي، فإنها اليوم تأتي منكسرة تمد يدها لكنيسة روما لاسترداد أراضيها من المسلمين، فلبي البابا أوربان الثاني النداء وخطب خطبته الشهيرة من دير كليرمونت 1095م في جمع غفير دعا لحرب صليبية لافتكاك الأراضي المقدسة من المسلمين، فأشعلت الخطبة الحماس في أوساط الألاف بالمجتمع الأوربي على اختلاف مستوياته.[51]

لقد ظهرت نية البابوية بتصدرها المشهد السياسي في دعوتها لإنجاح حرب صليبية على المشرق لكل من خالفها المعتقد فقامت بإجراءات عملية فحولت نسبة كبيرة من الصراعات داخل المجتمع من فلسفة حرب الحدود إلى حرب صليبية غايتها نشر المسيحية واسترداد الأراضي المقدسة، والأمر في مجملة تقمص الباعث الديني كقناع خفيف يُلقي على العمليات الحربية لتبريرها وإعطائها شيئاً من الاحترام[52] في وقت شهدت فيه أوروبا الغربية خلال القرن الحادي عشر الميلادي جملة من التغيرات بظهور قادة عظام أمثال روبرت جيسكارد النورماني وابنه بوهيمند أبرز زعماء الحملة الصليبية الأولى 1096م يبحثون عن سلطة ومجد،[53] مع وجود باباوات لهم نظر سياسي وطموح سلطوي سعوا لتحقيق السمو البابوي أمثال البابا أوربان الثاني، الى جانب مدن تجارية تبحث عن امتيازات مثل جنوا والبندقية وبيزا، في ظل سيادة النظام الاقطاعي الذي كرس للطبقية في أوروبا وعامة سعوا للتخلص من وضعهم البائس ولتعلق أفكارهم بأفكار الكنيسة الغربية التي تنادي بأصول المسيحية الأولى بخلاف التفكير المسيحي في الشرق الواقع تحت تأثير الحضارة الهلينية فلن تعود أزمة الخبز كتلك التي في فرنسا إذا نجحت الحروب الصليبية، بل أرض اللبن والعسل.[54]

أما منطقة المشرق الإسلامي فإن كانت شهدت فترة ازدهار، إلا إنها منيت بانهيار أواخر حكم الخلفاء العباسيين وأمرائهم السلاجقة الذين كانوا خير معين لدار الخلافة بعكس الفاطميين المتحالفين مع الصليبين فقد ناصبوا الخلافة العباسية العداء وساهموا في تصدع المشهد السياسي وظهور إمارات إسلامية قزمية لا يمكنها وقف الزحف الصليبي لا سيما وأن دولة السلاجقة تعيش أخر سنين عمرها، فالمشرق الإسلامي غدا لقمة سائغة التهمتها البابوية بمباركتها لتأسيس إمارات صليبية لاتينية دون أن تعير اهتمام للالتزام بعهودها بتسليم أراضي البيزنطيين للإمبراطورية حال افتكاكها من المسلمين إلى جانب قسم الولاء للإمبراطور الكسيوس من قبل

---

(48) محمد منصور، أثر العامل الديني، ص100-103.

(49) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، بدون مكان، 2003، ص249.

(50) أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص19-20.

(51) محمد منصور، أثر العامل الديني، ص185-185.

(52) هـ. و. ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، ط1، منشاة المعارف الاسكندرية، 1958، ص183.

(53) W. L. Langer & R. P. Blake, "The rise of the Ottoman Turks and its historical background," *American Historical Review* 37, n.p., 1932, p. 489.

(54) مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ط1، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، المنصورة، 1997، ص9-10.

قادة الحملة الصليبية الاولى[55] بل إن القضية ابتعدت أكثر مما هو متوقع عند البيزنطيين، فقد خرجت البابوية من قوقعة الدين إلى معترك السياسة متنصلة من عهودها بإرجاع أراضي البيزنطيين الى مباركة تأسيس إمارات لاتينية صليبية في المشرق بالرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس تختلف عن الأنماط السياسية والدينية والاجتماعية التي تأسست عليها البنية الأساسية للنظام العام في الإمبراطورية.[56]

لقد كشرت البابوية عن نابها في شعور خفى تغلغل في أعماق الإمبراطور الكسيوس، تحققت من خلالها نبوة الإمبراطور من سوء نية البابوية بإرسال طلائع الحملة الصليبية الأولى في مجموعة غير منظمة تنقصها الحكمة والقيادة عاثت فساداً في أرجاء الإمبراطورية ولم تنجُ منها حتى العاصمة نفسها، لتزداد المشكلة أكثر من ذي قبل بعد أن باركت البابوية بوهيمند النورماني حاكماً لأنطاكية وهو أبن روبرت جيسكارد العدو اللدود للإمبراطور[57] ناهيكم عن الحملة الصليبية الرابعة (1202-1204م) فالبابوية لم تمانع في تعريج الحملة عليها مستغلة الاضطرابات السائدة بها بسبب الصراع على العرش[58] فلم تسير الأمور تحت مكائد خفية وإنما باشر اللاتين ضرب العاصمة البيزنطية بواسطة أسطول البندقية فاستسلمت العاصمة للغزاة الجدد وكونوا فيها مملكة لاتينية ما بين (1204-1261م) وترتب على ذلك قيام حكومات بيزنطية في المنفى.[59]

لقد كان للضغط الصليبي على المشرق الاسلامي أثرة في ظهور زعامات، كان لها الفضل في وضع حد لتهديد المنطقة، فالزنكيين (1127-1174م) هم من وضع أسس الجهاد ضد الصليبين على يد زعيمهم عماد الدين زنكي (1139-1146م) وابنه نور الدين محمود (1146-1174م) يساعدهم أتابك الموصل أسد الدين شيركوه وابن أخية صلاح الدين الأيوبي، فقد وجه عماد الدين ضربة للصليبين باسترداد الرها 1144م،[60] وأستكمل مشروع الجهاد نورالدين محمود الذي وحد الشام والموصل تحت قيادة دمشق وفي عهده ضمت مصر لدولة الوحدة ووضع صلاح الدين حداً للحكم الفاطمي الشيعي في مصر وعادت الدعوة في مصر على المنابر للخليفة العباسي وأسس صلاح الدين دولة الايوبيين (1174-1250م) ووجه ضربات موجعة للصليبين في معركة حطين 1187م[61] وفي نفس السنة استرد صلاح الدين بيت المقدس ولقن الصليبين دروساً في فنون الحرب والتكتيك العسكري.[62]

ومع تغير أهداف الحروب الصليبية من استرداد للأراضي المقدسة ومساعدة الإمبراطورية البيزنطية تغيرت إلى هدف السيطرة والاستيلاء هذه المرة على مصر بحجة أنها أقصر الطرق للأراضي المقدسة فكرسوا جهودهم في أواخر عهد الأيوبيين لمهاجمتها وأستبسل المماليك* في الدفاع عن مصر بحكم تبعيتهم للأيوبيين الذين يعانون من ارتباك ظاهر في تسيير

---

[55] المرجع نفسه، ص16-17.

[56] تيسير بن موسى، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ، ص83-78.

[57] جوزيف نسيم يوسف، معالم التاريخ البيزنطي، ص261-262.

[58] إسمت غنيم، الحلمة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، 1982، ص21.

[59] ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو، 1986، ص261-271.

[60] احمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985، ص121-128.

[61] محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين، ط1، دار المعارف القاهرة، 1992، ص98-113.

[62] محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص136-138.

* المماليك: جمع مملوك وهو الذي أستعبد دون أن يستعبد أبواه ثم أخذت الكلمة مدلولا أخر فأطلقت على فئة من الرقيق الأبيض، وأضحى المملوك مع الزمن الأداء العسكرية الوحيدة في بعض البلدان الإسلامية ومنهم من أقام دولة مثل المماليك في مصر والشام وظهر دورهم في مناهضة الوجود الصليبي إلي أن تم دك أخر عروشهم في عكا عام 1292م عهد السلطان خليل بن قلاوون. محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر والشام، ط1، دار النفائس، القاهرة، 1997، ص15-16.

دفة الحكم، فأقام المماليك دولتهم (1260-1382م) وتبنوا الدور الأخير من أدوار الجهاد حيث عاصروا نهاية الوجود الصليبي وجلائهم عن المشرق عام 1291م.[63]

ولم يكن الصليبيين الخطر الوحيد الذي تعرضت له الأمة الإسلامية فقد تزامن له مع عدو أكثر شراسة تمثل في قوة المغول التي لا تقهر فقد زحفت جيوشهم تدك معاقل المسلمين إلى أن دخلت بغداد عاصمة الخلافة ودمرتها عام 1258م[64] وأمام ما يعتمده المغول من عامل الصدمة بأنهم قوة لا تقهر، ألقى ذلك الرعب في قلوب الصليبيين فقد سارع هيثوم ملك أرمينيا بالتحالف مع المغول محاولاً إقناع بقية الصليبيين بانتهاج مسلكة في وقت رفضت فيه بعض القوى الصليبية سياسة هيثوم وذلك راجع لكراهية الغرب الأوربي للمغول إثر غزوهم لشرق أوروبا ما بين عامي (1237- 1242م) وعدم احترام المغول لرسل البابا وملوك أوروبا بل أنهم أنذروا ملك فرنسا بضرورة الخضوع والتسليم لهم وعلى هذا الأساس أصدر البابا الكسندر الرابع (1254-1261م) قرار حرمان بحق بوهيمند السادس حاكم أنطاكيا وطرابلس لتحالفه مع الصليبيين[65] غير أن هزيمة المغول على يد المماليك في موقعة عين جالوت 1260م وضعت حداً لأسطورة المغول التي لا تقهر وأخذ ينظر هولاكو (1217-1265م) للصليبيين من مجرد تابعين، إلى أحلاف يمكن كسبهم ضد أكبر قوة ظهرت بعد عين جالوت وهي السلطنة المملوكية في مصر والشام.[66]

لقد تحرك الغرب الأوربي جاداً ينافس الإسلام وسط إمبراطورية المغول للتبشير بالعقيدة المسيحية الكاثوليكية بتخطيط من ملوكهم وباباويتهم لخلق تحالف مع المغول ضد المسلمين، وذلك بسبب ما لقيه الصليبيين من هزائم ساحقة في بلاد الشام ومصر على يد الأيوبيين ومن ثم المماليك، فمرارة الهزيمة قد تجرعها المغول في عين جالوت والتي لا تزال يخيم شبحها على المغول أينما حلوا.[67]

لقد استهل الصليبيين تحالفهم مع المغول بدعوة من البابا للإعداد لحملة صليبية بمشاركة المغول وأستمر التواصل بين البابا كلمنت الرابع (1265-1268م) والخان الأعظم وكان الأخير في تواصل مستمر مع قادة غرب أوروبا، لكن ذلك لم يصل لنتائج تؤكد التعاون بين الطرفين وقد حاول كل منهما أن ينسق لحملات متزامنة على المشرق الإسلامي فلما غزا لويس التاسع تونس كان المغول يأملون أن تكون حملة لويس صوب سلطنة المماليك ليهاجموا هم بدورهم حدودها الشرقية وقد خطط لذلك التعاون البابا كلمنت الرابع إلا أن اعتناق المغول وخاصة مغول فارس، للإسلام كان سبباً في انقسامهم وأرسل حاكم مغول فارس تكودار (1295-1304م) والذي سمي نفسة أحمد رسالة للسلطان المملوكي قلاوون (1279-1280م) يطلب منه عقد صداقة بين الطرفين في تزامن مع السفارات بين الغرب الأوربي وبلاد الخان الأعظم إلا إن الاحداث الجارية وقفت أمام تحقيق مآربهم في التجهيز لحملة صليبية من الغرب الأوربي على المشرق الإسلامي تساندهم قوات المغول[68] فقد خابت آمال الصليبيين من الاستفادة من قوة المغول واستمالتهم حتى لا يندفع المغول بقوة للغرب الأوربي، إلى جانب توجس الصليبيين من تغلغل الإسلام بينهم كما حدث للسلاجقة فلم تجد كل محاولتهم نفعاً[69] فانتصار المماليك على المغول

---

[63] المرجع نفسه، ص31-60.
[64] محمود سعيد عمران، المغول واوروبا، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ، ص59.
[65] عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، ص97-101.
[66] المرجع نفسه، ص107-121.
[67] رجب محمد عبدالحليم، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1986، ص41-42.
[68] محمود عمران، المغول واوروبا، ص251-259.
[69] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ط6، المكتب الإسلامي، بيروت، ج6، 2000، ص36-37.

أعاد الأمور لنصابها والمنطقة الإسلامية لحالتها الطبيعية، ووضع الأقليات المسيحية في المشرق في أضيق الحدود بعد أن كان قد أرتفع شأنهم بتعاطف المغول معهم على حساب المسلمين.[70]

إن الصليبيين لم يصلو لمبتغاهم من تحقيق حلف مع المغول للإطباق على العالم الإسلامي لكنهم بعثوا الرعب والخوف في المنطقة، ولولا قوة المماليك وصعود نجمهم لأنهار العالم الإسلامي لاسيما وأن الوجود الصليبي يستطيع أن يلعب دور في المنطقة ولو على سبيل عرقلة خطوط الإمدادات بين شرق السلطنة المملوكية وغربها.

ـ ثالثاً: النتائج ومناقشتها:

إن غاية المسيحيين الأوائل نشر الديانة المسيحية، معتمدين في ذلك على بساطتها وبعدها عن التعقيدات العقائدية، فلم ينبهروا بمظاهر السلطة أو السعي نحو إلصاق الخرافات بالعقيدة المسيحية، في وقت وجهوا فيه مصيرهم بكل صبر وتحمل للأذى وثبات على المبدأ، فكانت نتيجة ذلك أن تبوأت الديانة المسيحية مكانتها بين الديانات السماوية والوثنية على حد سواء.

لقد بدأ التنافس واضحاً في الحصول على مكاسب دينية ودنيوية بين المسيحيين عندما نشبت خلافات مذهبية بينهم ذهبت بعيدا عن تعاليم المسيحية السمحة، فاتجه كل فريق لإحداث أكبر أثر ممكن فسعى كل طرف لإثبات حججه حول مسائل اللاهوت مما سبب جدلاً دينياً ترتب عليه انقساما واضحاً بين الكنائس والأسقفيات لدرجة أن المواقف تباينت بين كنائس الشرق فقد حدث تقارب بين كنيسة الإسكندرية والقسطنطينية مع روما بشان عقيدة نسطورس حول طبيعة السيد المسيح حيث أخذ نسطورس أفكاره من مذهب أنطاكية الذي سأها ما أتخذ من قرارات ضد بطريرك القسطنطينية نسطورس، فادى ذلك لإحداث هوة بين كنيسة أنطاكيا من جهة والإسكندرية والقسطنطينية من جهة أخرى، بالرغم من أن أتباع الكنائس الشرقية يدينون بالمسيحية الأرثوذكسية في وقت لم يخرج من كنيسة روما ما يثير الجدل في غالب الأحيان، ولم تصدّر مشاكلها لأخوة العقيدة حتى وإن اختلفت معهم في جوهر العبادة، فإن الراهب أثناسيوس هو من أقحمها في مشاكل دينية عندما لجأ اليها طالبا الحماية من قرارات مجمع صور 434م الصادرة ضده فكانت له خير معين.

ومهما اختلف أباطرة البيزنطيين مع البابوية إلا أنهم لم يقطعوا حبل الود معها، لشعورهم بمدى تأثيرها في الساحتين الدينية ومن ثم السياسية لا سيما في الغرب الأوربي الذي بداء شيئاً فشيئا ينسلخ من سيادة الإمبراطورية، ولذلك لم يتأخر الإمبراطور فالنتيان عن إصدار مرسوم سنة 455م أقر فيه بخضوع أساقفة الغرب الأوربي للبابا في روما، وفي نفس الوقت قد يفهم إجراء الإمبراطور ما هو إلا نوع من حصر السيادة البابوية في الغرب الأوربي حتى لا تفسد العقيدة المسيحية الشرقية بالنكهة الهلينية.

ومن زاوية أخرى نرى تفاني الأباطرة بعقد المجامع الدينية بغية حل بعض المسائل العقائدية، ففي اعتقادنا لا يعد الأمر أكثر من كونه سعيا لاستمرار هيمنة الإمبراطورية على أكبر قدر ممكن من ممتلكات الرومان، ولذا لم تحدث المجامع الدينية تغييراً في صالح توحيد الحياة الدينية والسياسية وإنما كانت سببا في إحداث الفرقة جراء الأصوات التي تنادي بأولوية مكانة أسقف القسطنطينية عن أسقف روما وسيادة ثقافة أفضليات المدن، ناهيكم عن تحريم عبادة الأيقونات عصر الأسرة الأيسورية فمن تلك الزاوية استطاعت كنيسة روما الكاثوليكية أن تصل العاصمة البيزنطية فحركت مشاعر سكانها ضد مانعي عبادة الصور.

---

[70] أحمد عبدالكريم سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عهد الظاهر بيبرس، ط1، دار النهضة العربية للطبعة، 1984، ص70.

كذلك سعت البابوية لإبراز دورها وسموها في العالم المسيحي وإنها الراعي الحقيقي للعقيدة فوجهت اتهامات لكنيسة القسطنطينية بأنها واقعة تحت تأثير العلمانيين وطلبتها بسيادة كنسية روما وذلك لانصياع الكنيسة الشرقية لسلطة الإمبراطور، فسارعت الإمبراطورية بمساندة كنيسة القسطنطينية لنشر المسيحية بين البلغار وهو ميدان خسرت فيه كنيسة روما، ولو أمكنها نشر المسيحية بين البلغار بحسب مذهبها لكسبت من وراء ذلك الكثير، إلا إن البابوية عصر البابا جريجوري الأول (590-604م) نجحت في نشر المسيحية الكاثوليكية في إنجلترا وهو أمر بعيد المنال عن الإمبراطورية وكنيستها.

لقد أدى ابتعاد الأباطرة عن روما إلى إحداث فراغ سياسي تحولت فيه كنيسة روما من دورها الديني الى دور ديني سياسي فقد تشكلت شخصيتها السلطوية بين عامي (730-760م) وذلك بسبب رفض البابا لقرارات الإمبراطور ليو الأيسوري بشان عبادة الصور، وبحكم تمسك البابا بهذا النوع من العبادة فقد كان الأثر واضحاً من قبل كنيسة روما في العودة من جديد لعبادة الأيقونات دون مراعاة أي اعتبار عن ما صدر من قرارات من السلطة الزمنية بشان المسألة.

ولا يخف على أحد مدى تأثير البابوية على الحياة السياسية في غرب أوربا، فإن كان ابتعاد الأباطرة عن روما قد أعطاها الحرية والمكانة الكافية التي جعلت من رجال الكنيسة يتدخلون في شؤون الحياه العامة من تعيين موظفي البلديات والوظائف العامة وجمع الضرائب إلا أن اضطراب الأحوال السياسية في إيطاليا بوجود قوى متصارعة دفعت البابوية للبحث عن إيجاد إطار سياسي يقف حائلا أمام استهداف البابوية من أي طرف كان، فكان تتويجها لشارلمان 800م إيذانا بانقسام حقيقي تشكلت فيه الإمبراطورية الرومانية المقدسة في الشق الغربي بينما انحسرت الإمبراطورية البيزنطية في الشق الشرقي ثم ترسخ ذلك الانقسام فيما صار يعرف بالانشقاق الأعظم عام 1054م ومع ذلك عندما تعرضت الإمبراطورية للخطر السلجوقي وهزيمة البيزنطيين في مانزكرت 1071م على يد السلاجقة ولجوء الإمبراطور الكسيوس طالبا يد المساعدة من الغرب الأوربي فإن كان أباطرة البيزنطيين لا يعيرون اهتماما للبابا حتى في مسألة اجتماعية - كتوسطه في زواج أوتوا من إحدى الأميرات البيزنطيات - فإن الإمبراطور اليوم يرتمي أمام البابوية طالباً نجدتها أمام دك المسلمين السلاجقة لحصونها، فلم يتأخر البابا أوربان الثاني في الدعوة لإنفاذ حملات صليبية لافتكاك الأراضي المقدسة ولحماية الإمبراطورية كونها خط الدفاع الأول لأوربا وإن أخلت البابوية في تعاهدها للإمبراطور باسترداد الأراضي الواقعة تحت المسلمين إلا انه في كلا الأمرين كان الأثر واضحاً للبابوية في إبراز دورها كحامية للعالم المسيحي بل تعدى دورها أكثر من ذلك في محاولاتها التأثير في عقيدة المغول من ناحية، ومن ناحية أخرى تسخيرهم لضرب القوى الإسلامية في المشرق.

- الخاتمة والتوصيات:

1- الخاتمة:

- من خلال تناولنا لموضع أثر الكنيسة الكاثوليكية في الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى، فرغم الانقسام السياسي التي مرت به إيطاليا جرأ انصراف الأباطرة للشرق، إلا أن البابوية شقت طريقها في نشر المسيحية على المذهب الكاثوليكي فوصلت بعثتها إلي إنجلترا والتي نجحت في تنصيرها.
- وإن كانت الكنيسة في روما قد مرت بمظاهر الوهن والضعف إلا أنها استطاعت إلى حد كبير أن تجعل من نفسها مؤسسة اجتماعية دينية سياسية سدت الفراغ الذي أحدثته الإمبراطورية البيزنطية في الغرب الأوربي بعد أن اتجهت للشرق، ونهضت البابوية بمهامها في الحكم والإدارة بل إن تأثيرها السياسي ظهر واضحاً في تتويج شارلمان إمبراطورا على الغرب الأوربي ومن ثم دعوتها وقيادتها للحروب الصليبية على المشرق الإسلامي.

2- التوصيات:

موضوع أثر الكنيسة الكاثوليكية على الحياة الدينية والحياة السياسية في غرب أوربا العصور الوسطى يحتاج إلى جهد أكبر ودراسة اعمق للوصول إلى نتائج كثيرة، من خلالها يمكن معرفة مدى تأثير المسيحية الكاثوليكية في محيطها المحلي والعالمي.

ـ قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم على طرخان. (1958م). دراسات في تاريخ أوروبا العصور الوسطي دولة القوط الغربيين. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- أ. ب. تشالزورث. (1950م). الإمبراطورية الرومانية. ترجمة رمزي عبدة جرجس. هيأة الكتاب. القاهرة.
- أحمد عبدالكريم سليمان. (1984م). المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس 1250-1277م. ط[1]. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع. بدون مكان.
- أحمد الشامي. (1985م). تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي. ط[1]. دار النهضة العربية. القاهرة.
- أرنست باركر. (1967م). الحروب الصليبية. ط[2]. دار النهضة العربية. بيروت.
- أسد رستم. (1955م). الروم في سياستهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب. ج[1]. ط[1]. دار الكشوف. بيروت.
- إسحاق تاوضروس عبيد. (1970م). روما وبيزنطة منذ فطيعة فوتيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين. دار المعارف بمصر، القاهرة.
- إسماعيل أحمد ياغي. (1998م). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. مكتبة العبيكان. الرياض.
- إسمت غنيم. (1981م). الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية. دار المعارف. بدون مكان.
- السيد الباز العريني. (1968م). تاريخ أوروبا العصور الوسطي. دار النهضة العربية. بيروت.
- السيد الباز العريني. (1982م). الدولة البيزنطية 323-1081. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.
- تيسير بن موسي. (بدون تاريخ). نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين. الدار العربية للكتاب. بدون مكان.
- جاد الله نجيب. (2012م). تاريخ الكنيسة الغائب في القرنين الرابع والخامس للميلاد. دار الثقافة العربية. القاهرة.
- جوزيف نسيم يوسف. (1990م). معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- جون لوريمر. (بدون تاريخ). تاريخ الكنيسة. ط[1]. ج[3]. دار الثقافة. القاهرة.
- حسين محمد ربيع. (1983م). دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. دار النهضة العربية. القاهرة.
- دونالد. ر. وولي. (بدون تاريخ). حضارة روما. ترجمة جميل يواقيم وفاروق فريد. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة.

- رجب محمد عبدالعليم. (1986م). انتشار الإسلام بين المغول. دار النهضة العربية للنشر والتوزيع. بدون مكان.
- ستيفن رنسيمان. (1997م). الحضارة البيزنطية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- سعيد عبدالفتاح عاشور. (1972م). أوروبا العصور الوسطي، ج1. ط5. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- سعيد عبدالفتاح عاشور. (1977م). بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي. دار الأحد البحيري أخوان. بيروت.
- سعيد عبدالفتاح عاشور. (2009م). تاريخ أوروبا في العصور الوسطي. دار النهضة العربية. بيروت.
- سيد أحمد الناصري. (1991م). تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري. ط2. دار النهضة العربية. بيروت.
- شارل جنيبير. (بدون تاريخ). المسيحية منشأتها وتطورها. ترجمة عبدالحليم محمود. منشورات المكتبة العصرية. بيروت.
- عادل درويش. (2012م). سلسلة رسائل علمية الكنيسة أسرارها وطقوسها. ط1. دار بلال بن رباح. القاهرة.
- عادل زيتون. (1980م). العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى. ط1. دار دمشق.
- عادل هلال. (1997م). العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي. ط1. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. بدون مكان.
- عبدالقادر أحمد اليوسف. (1968م). العصور الوسطي الأوروبية. المكتبة العصرية. بيروت.
- على محمد الصلابي. (2001م). الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط. ط1. دار النشر والتوزيع الإسلامية. القاهرة.
- محمد محمد مرسي الشيخ. (1996م). تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. دار المعرفة الجامعية. إسكندرية.
- محمد محمد مرسي الشيخ. (1998م). النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطي. الإسكندرية.
- محمد سهيل طقوس. (1997م). تاريخ المماليك في مصر والشام. ط1. دار النفائس. القاهرة.
- محمد صالح منصور. (1996م). أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية. ط1. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي.
- محمد عبدالعظيم أبو النصر. (2001م). السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري. ط1. عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية. بدون مكان.
- محمود سعيد عمران. (1986م). معالم تاريخ أوروبا العصور الوسطي. دار المعرفة الجامعية. بدون مكان.
- محمود سعيد عمران. (1998م). حضارة أوروبا في العصور. دار المعرفة الجامعية. بدون مكان.
- محمود سعيد عمران. (2000م). معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي. دار المعرفة الجامعية. بدون مكان.
- محمود سعيد عمران. (2000م). تاريخ الحروب الصليبية 1095- 1291. دار المعرفة الجامعية. بدون مكان.
- محمود سعيد عمران. (بدون تاريخ). المغول وأوروبا. دار المعرفة الجامعية. بدون مكان.

- محمود شاكر . (2000م). التاريخ الإسلامي. ط6. المكتب الإسلامي. بيروت.
- محمود محمد الحويري. (1992م). بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين. ط1. دار المعارف. القاهرة.
- مصطفي وهبة. (1997م). موجز تاريخ الحروب الصليبية. ط1. مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع. المنصورة.
- موريس بيشوب. (2004م). تاريخ أوروبا في العصور الوسطي. ترجمة علي السيد علي. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة.
- ميخائيل زابوروف. (1986م). الصليبيون في الشرق. دار التقدم. موسكو.
- نعيم فرج. (2000م). الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي. ط1. منشورات جامعة دمشق. دمشق.
- نورمان ف. كانتور. (1997م). التاريخ الوسيط قصة الحضارة: البداية والنهاية. ترجمة قاسم عبده قاسم، ط5. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. بدون مكان.
- هـ. و. ديفز. (1958م). أوروبا العصور الوسطي. ترجمة عبدالحميد حمدي. ط1. منشأة المعارف. الإسكندرية.
- ول وايريل ديورانت. (1988م). قصة الحضارة (عصر الأيمان) ترجمة محمد بدران. دار الجيل. بيروت وتونس. ج3. مجلد 14.

ثانياً: المراجع الاجنبية:

- Ambroise. 1941. *The Crusade of Richard Lion- Heart*. Translated by Hubert, M. J. New York: n.p.

- Charles, D. 1957. *Byzantium Greatness and Decline*. New Jersey: New Brunswick.

- Frucht, R. 2005. *Eastern Europe: an introduction to the people, lands, and culture*. Vol. 1. Santa Barbara: ABC-CLIO.

- Langer, W. L., & Blake, R. P. 1932. "The rise of the Ottoman Turks and its historical background", *American Historical Review 37*. n.p.

- Setton, K. 1958. *A History of the Crusades*. Vol. II. Pennsylvania: University press.

- Vasiliev, A. 1961. *A History of the Byzantine Empire 324-1453*. 2 voles, 3rd edition, Madison and Milwauk,

- Vryonis, S. J. 1967. *Byzantium and Europe*. London: Harcourt, Brace and Co.